بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة الطبعة الأولى

الحمدلله رب العالمين، والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه الغر الميامين، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد: فإن القرآن المجيد أعز ما شرف الله به الأمة الإسلامية، فهو كتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، ويهدي للتي هي أقوم، فمن تمسك به فقد هدي إلى صراط مستقيم، ومن هجره فهو في خسران عظيم.

وقد اعتنت به الأمة الإسلامية اعتناء لا مثيل له فيما سلف من الأمم. فقد بحث علماء هذه الأمة عما في القرآن الكريم من الأحكام والحكم، والمعاني والنكت، والحجج والبراهين، والأدلّة والبيان، والمواعظ والعبر، والوقائع والأحداث، ولطائف العبارات ودقائق الإشارات، وجوانب الإعجاز، ووجوه الإعراب، واختلاف القراءات: وأنواع اللهجات حتى بحثوا عن الأحوال الجغرافية للأماكن والبلدان التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، وعن غير ذلك من الأمور.

وكان تفسير ابن كثير رحمه الله من أهم ما كتب في تفسير القرآن العظيم، ومن أعظمه وأكثره قبولًا وانتشارًا في هذه الأمة، إذ كان ابن كثير رحمه الله متضلعًا بعلوم الكتاب والسنة، وبعلوم تاريخ السابقين واللاحقين مع ما منحه الله من النظر الثاقب في سنة الله التي تجري في صلاح الأمم وفسادها وفي تقدمها وتأخرها وانحطاطها.

وكان له اطلاع واسع على ما تقدمت الإشارة إليه من الموضوعات، فاختار رحمه الله منهج التفسير بالمأثور، فأكثر من إيراد الأحاديث المرفوعة، وأقوال السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة الهدى واليقين، ومن أولي الأيدي والأبصار في علم تأويل الكتاب، ولم يغفل جوانب أخرى أشرنا إليها. وبذلك جاء تفسيره جامعًا بين فنّي الرواية والدراية والمنقول والمعقول، وانتفع به المسلمون أيما انتفاع، وحصل له من القبول والإقبال ما لم يحصل لغيره من كتب التفسير إلا نادرًا.

وحيث إن أخانا الفاضل الشيخ عبدالمالك مجاهد، المدير المسئول لمكتبة دار السلام يتمتع بهمّة عالية، وقصد نبيل وعمل جليل في

القيام بخدمة كتب السلف ونشرها في صور أنيقة وحلل قشيبة فقد رأى - بعد الاستشارة وإجالة الفكر - أن يختار مجموعة ذات كفاءة من أصحاب الفضيلة الباحثين والكاتبين بترجمة هذا التفسير إلى لغات عالمية كبيرة حيّة حتى يستفيد به معظم أهل العلم في العالم كله. كذلك رأى من الأحسن أن يلخّص الكتاب تلخيصًا يصغر لأجله الحجم، ولا تفوت المباحث، ويوضع لكل مبحث أنسب عنوان له، وتعزى الأحاديث والأقوال الباقية بعد التلخيص، إلى مخرِّجيها، حتى تتم الفائدة، والتمس من فضيلة الشيخ/ أبي الأشبال أحمد شاغف - حفظه الله وبارك في حياته - أن يقوم بهذا العمل، فبذل جهده المشكور في التلخيص، وذلك بإبقاء عدد من الأحاديث في موضوع واحد يتم بها معنى الموضوع، وحذف بقية الأحاديث التي هي مجرد تكرار لمعنى واحد من طرق شتى، وقريب من ذلك تلخيص أقوال أهل التأويل وكلّف بعض الإخوة بتخريج الأحاديث والأقوال تحت إشرافه، فقام به بقدر الإمكان. أما إيضاح المعاني من ابن كثير رحمه الله فأُبقي على ما كان عليه تقريبًا مع وضع العناوين على المباحث.

ثم كلفني الأخ عبدالمالك مجاهد بالمراجعة وإعادة النظر فقمت بذلك وأصلحت وغيّرت وبدّلت وزدت ونقّصت حين رأيت الحاجة إلى ذلك، كما قام ببعض ذلك أخونا الفاضل شكيل أحمد السلفي أحد الباحثين في قسم البحث والتصحيح في دار السلام، وبذلك كله جاء الكتاب كما يروق النواظر ويسر الخواطر، ولله الحمد.

بعض أعمال أخرى

(١) وقد جاء هذا التلخيص من نسخة مطبوعة من مكتبة دار السلام، وكانت مصححة ومعتمدة على نسخة مصرية قديمة مطبوعة بـ«دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه» وتاريخ هذه الطبعة غير مسجل، إلّا أنه يرجع إلى نحو قرن من الزمان. كما أن النسخة المطبوعة بدار السلام كانت قد قوبلت على خمس نسخ أخرى محقّقة ومطبوعة حديثًا حتى تمّ تدارك الأخطاء بقدر الإمكان.

(٢) وكان من أوصاف تلك النسخة التي اتّبعت في هذا التلخيص أيضًا أن ما وجد من الأخطاء في أسماء الرجال صُوِّب بمراجعة الأصول من كتب الرجال، ثم وُضِع الصواب بين معقوفتين، وحيثما وجد الأمر غامضًا نبّه عليه في الهامش.

(٣) أما الآيات القرآنية التي وردت أثناء التفسير فوضعت مشكّلة بخط المصحف بين قوسين مختصين لآيات القرآن ﴿ ﴾ أخذا من المصحف المبرمج في الحاسب.

(٤) وضع في رأس الصفحة اسم السورة ورقمها، وأرقام الآيات، حتى يسهل الوصول إلى المطلوب.

(٥) وعند اختلاف النسخ في أسماء السور اختير الاسم المثبت في الأصل.

(٦) وضعت الزيادات على النسخة الأصلية بين معقوفتين [ ] وقد قام بهذه الأعمال أصحاب الفضيلة العاملين في قسم البحث

والتصحيح في المكتبة فجزاهم الله خيرًا.

وقد رغبت المكتبة أن يأتي هذا الملخص في مجلد واحد مع المقاس المناسب والسعر الزهيد، ليكون سهلًا ميسورًا يبلغ إلى الآفاق، ولا يبقى بيت من بيوت المسلمين إلا ويدخله هذا السفر المبارك بإذن الله، ويكون زادًا ممتعًا في أسفارهم، وذخر خير في حلهم وترحالهم، عسى الله أن يقدّر ذلك وهو الموفق للخير، والهادي إلى سواء السبيل.

وصلى الله على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه وبارك وسلم

صفي الرحمن المباركفوري

١٤٢٠/٦/١٢هـ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد أفضل الرسل وخاتم النبيين، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه واقتفى أثره إلى يوم الدين.

وبعد فها هي الطبعة الثانية لكتاب «المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير» تقدمها مكتبة دار السلام للنشر والتوزيع بالرياض وقد نفدت نسخ الطبعة الأولى من هذا الكتاب في أقرب فرصة، وحصل به من القبول بين أهل العلم وإعجابهم به وإقبالهم عليه ما يحثنا على الشكر لله سبحانه وتعالى على إحسانه العميم وفضله الكريم.

وبمناسبة هذه الطبعة الثانية رأى المسؤولون القيام ببعض الأعمال في ضوء مشورة العلماء وأهل الاختصاص عدا ما تقدم ذكره في تقديم الطبعة الأولى. فكلّفوا لجنة البحث والإعداد العلمي القيام بها وتتلخص تلك الأعمال في ما يلي:

(١) إخراج جميع الأحاديث المرفوعة الضعيفة التي لم ينجبر ضعفها ولم تصل إلى درجة القبول، فلا يوجد - بحمد الله - في هذه الطبعة إلا الأحاديث الصحيحة أو الحسنة أو الضعيفة التي انجبر ضعفها، وارتقى إلى درجة القبول، وقد راجع الإخوة الباحثون لتحقيق هذا الغرض أقوال الأئمة وأهل العلم، في تلك الأحاديث أو في رواتها حتى وصلوا إلى النتيجة النهائية في تعيين مرتبة الحديث من الضعف أو الحسن أو الصحة، فأخرجوا الضعيف وأسقطوه، وتركوا البقية، فجزاهم الله على هذا الجهد المشكور خيرًا.

(٢) تشكيل الأحاديث المرفوعة، ووضع الحركات على كلام النبي ﷺ، حتى لا يقع الالتباس في المواضع الصعبة على عامّة القراء وتتضح المعاني الصحيحة ويسهل على العامة قراءة ألفاظ النبي ﷺ على الوجه الصحيح.

وصلى الله على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه وبارك وسلم.

صفي الرحمن المباركفوري

٤/ ٢/ ١٤٢١هـ

شرح الرموز المستعملة في التخريج

ابن أبي حاتم = تفسير ابن أبي حاتم

ابن أبي حاتم غ = تفسير ابن أبي حاتم تحقيق الدكتور الغامدي مسودة غير مطبوع

ابن أبي شيبة = المصنف لابن أبي شيبة

ابن حبان = صحيح ابن حبان

ابن خزيمة = صحيح ابن خزيمة

ابن عدي = الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي

ابن عساكر = تاريخ دمشق لابن عساكر (مختصر)

ابن ماجه = السنن للإمام ابن ماجه القزويني

ابن هشام = سيرة ابن هشام

أبو داود = السنن للإمام أبي داود

أحمد = مسند الإمام أحمد بن حنبل

الإحياء = إحياء العلوم للإمام الغزالي

الأم = كتاب الأم للإمام الشافعي

البخاري = الصحيح للإمام البخاري

البغوي = تفسير للإمام البغوي

البيهقي = السنن الكبرى للإمام البيهقي

تحفة الأحوذي = شرح جامع الترمذي للشيخ عبدالرحمن المباركفوري

التاريخ الكبير = للإمام البخاري

الترمذي = جامع الترمذي

الحاكم = المستدرك للحاكم

الحلية = حلية الأولياء لأبي نعيم

الحميدي = مسند الحميدي

الخطيب = التاريخ للخطيب البغدادي

الدارقطني = السنن للإمام الدارقطني

الدارمي = سنن الدارمي

الرازي = التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي

الزفاف = آداب الزفاف لناصر الدين الألباني

سعيد بن منصور = سنن سعيد بن منصور

السنة = كتاب السنة لابن أبي عاصم

شرح السنة = شرح السنة للإمام البغوي

الشريعة = لمحمد بن الحسين الآجريّ

الطبراني = المعجم الكبير للطبراني

الطبري = تفسير جامع البيان للطبري

عبدالرزاق = تفسير عبدالرزاق

عدي = الكامل لابن عدي

العظمة = العظمة لأبي الشيخ دار العاصمة الرياض

العقيلي = الضعفاء الكبير للعقيلي

علل الحديث = لعلي بن المديني

عمدة التفسير = عمدة التفسير عن الحافظ

ابن كثير (أحمد شاكر)

غريب الحديث = غريب الحديث لأبي عبيد القاسم

فتح الباري = فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر

القرطبي = تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي.

الكشاف = تفسير الكشاف للزمخشري

الكنز = كنز العمال

المجمع = مجمع الزوائد

المحرر الوجيز = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لعبد الحق بن غالب الغرناطي

المحلى = المحلى لابن حزم

مسلم = الصحيح للإمام مسلم

مشكاة = مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي

مشكل = مشكل الآثار للطحاوي

المطالب = المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية لابن حجر

موارد الظمآن = موارد الظمآن لأبي بكر الهيثمي

الموطأ = موطأ الإمام مالك

النسائي في الكبرى = السنن الكبرى للإمام النسائي

النسائي = السنن للإمام النسائي

اليوم والليلة = عمل اليوم والليلة للنسائي

ترجمة المؤلف

بقلم فضيلة الشيخ عبد القادر الأرناؤوط - حفظه الله -

هو الإمام الجليل أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البُصروي الأصل الدمشقي النشأة والتربية والتعليم.

ولد بـ (مِجدَل) القرية من أعمال مدينة بُصرى سنة (٧٠١هـ) - (١٣٠٢م) وكان أبوه خطيب قرية، ومات أبوه في الرابعة من عمره، وربَّاه أخوه الشيخ عبد الوهَّاب وعلَّمه في مبدأ أمره، ثم انتقل إلى دمشق الشام المحروسة سنة (٧٠٦) هـ في الخامسة من عمره.

شيوخه:

تفقَّه بالشيخ برهان الدين إبراهيم بن عبد الرحمن الفزاري الشهير بابن الفركاح المتوفى سنة (٧٢٩) هـ وسمع بدمشق من عيسى بن المطعم، ومن أحمد بن أبي طالب الشهير بابن الشحنة المتوفى سنة (٧٣٠)، ومن ابن الحجار المتوفى سنة (٧٣٠) هـ ومن مسند الشام بهاء الدين القاسم بن مظفر ابن عساكر المتوفى سنة (٧٢٣) هـ ومن ابن الشيرازي، ومن إسحاق بن يحيى الآمدي شيخ الظاهرية عفيف الدين المتوفى سنة (٧٢٥) هـ ومن محمد ابن زرَّاد، ولازم الشيخ جمال الدين يوسف بن الزكي المِزِّي المتوفى سنة (٧٤٢) هـ، وبه انتفع وتخرَّج وتزوج بابنته، وقرأ على شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية المتوفى سنة (٧٢٨) هـ كما قرأ على الشيخ الحافظ المؤرخ شمس الدين محمد ابن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي المتوفى سنة (٧٤٨) هـ وأجاز له من مصر أبو موسى القرافي، وأبو الفتح الدبوسي، وعلي بن عمر السواني، وغيرهم. قال الحافظ الذهبي في «المعجم المختص» عن الحافظ ابن كثير: هو الإمام المفتي، المحدث البارع، فقيه متفنن، ومفسِّر نقَّال، وله تصانيف مفيدة.

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في «الدرر الكامنة»: اشتغل بالحديث مطالعة في متونه ورجاله، وكان كثير الاستحضار، حسن المفاكهة، سارت تصانيفه في حياته، وانتفع الناس بها بعد وفاته.

وقال المؤرخ الشهير أبو المحاسن جمال الدين يوسف ابن سيف الدين المعروف بابن تَغْري بَرْدي في كتابه (المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي): هو الشيخ الإمام العلامة عماد الدين أبو الفداء، لازم الاشتغال، ودأب وحصل وكتب، وبرع في الفقه والتفسير والحديث، وجمع وصنف، ودرَّس وحدَّث وألَّف، وكان له اطِّلاع عظيم في الحديث والتفسير والفقه والعربية وغير

ذلك، وأفتى ودرَّس إلى أن توفي رحمه الله، واشتهر بالضبط والتحرير، وانتهت إليه رياسة العلم في التاريخ والحديث والتفسير.

تلامذته:

وهم كثيرون منهم ابن حجي، وقال فيه: أحفظ من أدركناه لمتون الأحاديث وأعرفهم بجرحها ورجالها، وصحيحها وسقيمها، وكان أقرانه وشيوخه يعترفون له بذلك، وما أعرف أني اجتمعت به إلا واستفدت منه.

وقال ابن العماد الحنبلي في كتابه: «شذرات الذهب في أخبار من ذهب»: هو الحافظ الكبير، عماد الدين، كان كثير الاستحضار، قليل النسيان، جيد الفهم، يشارك في العربية، وقال فيه ابن حبيب: سمع وجمع وصنَّف، وأطرب الأسماع بالفتوى، وحدَّث وأفاد، وطارت أوراق فتاويه إلى البلاد، واشتهر بالضبط والتحرير.

مؤلفاته:

مؤلفاته كثيرة:

١- منها ومن أعظمها تفسيره للقرآن الكريم، وهو من أحسن كتب التفسير بالرواية، وقد طبع عدة مرات، واختصره عدة أشخاص.

٢- التاريخ المسمى بالبداية، وهو المطبوع في (١٤) مجلدًا، باسم (البداية والنهاية) ذكر فيه قصص الأنبياء والأمم الماضية، والسيرة النبوية، والتاريخ الإسلامي إلى زمنه ثم ألَّف «الفتن وأشراط الساعة والملاحم وأحوال الآخرة».

وهو المقصود بـ«النهاية» وقد طبعت البداية أولًا ثم طبعت «النهاية» بمفردها، وحققها عدة أشخاص.

٣- «التكميل في معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل» جمع فيه بين كتابي شيخيه المِزِّي والذهبي «تهذيب الكمال في أسماء الرجال» و«ميزان الاعتدال في نقد الرجال» مع زيادات مفيدة في الجرح والتعديل.

٤- «الهَدْي والسُّنَن في أحاديث المسانيد والسنن» وهو المعروف بـ«جامع المسانيد» جمع فيه بين مسند الإمام أحمد بن حنبل، والبزار، وأبي يعلى الموصلي، وابن أبي شيبة، مع الكتب الستة: الصحيحين، والسنن الأربعة، ورتبه على الأبواب، طبع منه حديثًا بعض الأجزاء.

٥- «طبقات الشافعية» مجلد وسط، ومعه مناقب الشافعي.

٦- خرَّج أحاديث أدلة التنبيه في فقه الشافعية.

٧- شرع في شرح صحيح البخاري ولم يكمله.

٨- شرع في كتاب كبير في الأحكام ولم يكمله، وصل فيه إلى الحج.

٩- مختصر كتاب المدخل للبيهقي، وأكثرها لم يطبع.

١٠- اختصر علوم الحديث لأبي عمرو بن الصلاح وسماه «مختصر علوم الحديث» وطبعه الشيخ أحمد محمد شاكر

المحدث المصري رحمه الله، مع شرح له، وسمّى شرحه «الباعث الحثيث في شرح مختصر علوم الحديث» وقد طبع عدة مرات.

١١- السيرة النبوية مطولة (ضمن البداية) ومختصرة، وهما مطبوعتان.

١٢- رسالة في الجهاد، سماها «الاجتهاد في طلب الجهاد» وقد طبعت أكثر من مرة.

وفاته:

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله: وكان قد أضرَّ - يعني فقد بصره - في آخر حياته، وتوفي بدمشق الشام المحروسة سنة (٧٧٤هـ) - (١٣٧٣م).

رحمه الله تعالى رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جنانه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[مقدمة ابن كثير]

(قال الشيخ الإمام الأوحد، البارع الحافظ المتقي، عماد الدين أبو الفداء: إسماعيل بن الخطيب أبي حفص عمر بن كثير، الشافعي، رحمه الله تعالى ورضي عنه):

الحمد لله الذي افتتح كتابه بالحمد فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ وافتتح خلقه بالحمد فقال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١﴾ واختتمه بالحمد فقال بعد ما ذكر مآل أهل الجنة وأهل النار ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۚ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٥﴾ ولهذا قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٧٠﴾ فله الحمد في الأولى والآخرة، أي في جميع ما خلق وما هو خالق، هو المحمود في ذلك كله كما يقول المصلي: «اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، مِلْءَ السَّمٰوَاتِ وَمِلْءَ الْأَرْضِ وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ». (١)

والحمد لله الذي أرسل رسله ﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ وختمهم بالنبي الأمي العربي المكي الهادي لأوضح السبل، أرسله إلى جميع خلقه من الإنس والجن من لدن بعثته إلى قيام الساعة. كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٥٨﴾ وقال تعالى: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ فمن بلغه هذا القرآن من عرب وعجم، وأسود وأحمر، وإنس وجان فهو نذير له، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾ فمن كفر بالقرآن ممن ذكرنا فالنار موعده بنص الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ۝٤٤﴾ وقال رسول الله ﷺ: «بُعِثْتُ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ» قال مجاهد: يعني الإنس والجن. (٢)

فهو صلوات الله وسلامه عليه رسول الله إلى جميع الثقلين الإنس والجن، مبلغًا لهم عن الله تعالى ما أوحاه إليه من هذا الكتاب العزيز الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾

[الأمر بفهم القرآن]

وقد أعلمهم فيه عن الله تعالى أنه ندبهم إلى فهمه، فقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ۝٨٢﴾ وقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٢٩﴾ وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ۝٢٤﴾.

(فالواجب) على العلماء الكشف عن معاني كلام الله وتفسير ذلك، وطلبه من مظانه، وتعلم ذلك وتعليمه كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ۝١٨٧﴾ وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٧٧﴾ فذم الله تعالى أهل الكتاب قبلنا بإعراضهم عن كتاب الله المنزل إليهم، وإقبالهم على الدنيا وجمعها، واشتغالهم بغير ما أمروا به من اتباع كتاب الله.

فعلينا أيها المسلمون أن ننتهي عما ذمهم الله تعالى به، وأن نأتمر بما أمرنا به من تعلم كتاب الله المنزل إلينا وتعليمه، وتفهمه وتفهيمه، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ۝١٦ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝١٧﴾ ففي ذكره تعالى لهذه الآية بعد التي قبلها تنبيه على أنه تعالى كما يحيي الأرض بعد موتها كذلك يلين القلوب بالإيمان والهدى بعد قسوتها من الذنوب والمعاصي، والله المؤمل المسؤول أن يفعل بنا هذا إنه جواد كريم.

[أصول التفسير]

فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟ (فالجواب)

---

(١) مسلم: ١/ ٣٤٣ (٢) أحمد: ٥/ ١٤٥

أن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد بسط في موضع آخر، فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾ وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ولهذا قال رسول الله ﷺ: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ»[١] يعني السنة. والسنة أيضًا تنزل عليه بالوحي كما ينزل القرآن إلا أنها لا تتلى كما يتلى القرآن.

والغرض أنك تطلب تفسير القرآن منه فإن لم تجده فمن السنة. وإذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك، لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح لا سيما علماؤهم وكبراؤهم كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين، والأئمة المهتدين المهديين، وعبدالله بن مسعود رضي الله عنهم. روى الإمام أبو جعفر بن جرير عن عبدالله يعني ابن مسعود قال: والذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت، وأين نزلت. ولو أعلم أحدًا أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لأتيته[٢].

ومنهم الحبر البحر عبدالله بن عباس ابن عم رسول الله ﷺ وترجمان القرآن ببركة دعاء رسول الله ﷺ له حيث قال: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ»[٣] وروى ابن جرير عن عبدالله يعني ابن مسعود قال: نعم ترجمان القرآن ابن عباس[٤]. وهذا إسناد صحيح، وقد مات ابن مسعود رضي الله عنه في سنة اثنتين وثلاثين على الصحيح وعمّر بعده عبدالله بن عباس ستًا وثلاثين سنة، فما ظنك بما كسبه من العلوم بعد ابن مسعود. وقال الأعمش عن أبي وائل: استخلف عليٌّ عبدالله بن عباس على الموسم، فخطب الناس فقرأ في خطبته سورة البقرة - وفي رواية سورة النور - ففسرها تفسيرًا لو سمعته الروم والترك والديلم لأسلموا[٥].

ولهذا غالب ما يرويه إسماعيل بن عبدالرحمن السدي الكبير في تفسيره عن هذين الرجلين ابن مسعود وابن عباس، ولكن في بعض الأحيان ينقل عنهم ما يحكونه من أقاويل أهل الكتاب التي أباحها رسول الله ﷺ حيث قال: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» رواه البخاري عن عبدالله بن عمرو[٦]. ولهذا كان عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قد أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب، فكان يحدث منهما بما فهمه من هذا الحديث من الإذن في ذلك.

[حكم الروايات الإسرائيلية]

ولكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتضاد فإنها على ثلاثة أقسام **(أحدها)** ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذاك صحيح **(والثاني)** ما علمنا كذبه مما عندنا، مما يخالفه **(والثالث)** ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل فلا نؤمن به ولا نكذبه ويجوز حكايته لما تقدم، وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني. كما يذكرون في مثل هذا أسماء أصحاب الكهف، ولون كلبهم، وعددهم. وعصا موسى من أي الشجر كانت. وأسماء الطيور التي أحياها الله لإبراهيم، وتعيين البعض الذي ضرب به القتيل من البقرة، ونوع الشجرة التي كلم الله منها موسى، إلى غير ذلك مما أبهمه الله تعالى في القرآن مما لا فائدة في تعيينه تعود على المكلفين في دينهم ولا دنياهم.

[مكانة تفسير التابعين]

(فصل) إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدته عن الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين، كمجاهد بن جبر، فإنه كان آية في التفسير كما قال محمد بن إسحاق: حدثنا أبان بن صالح عن مجاهد قال: عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته، أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها[٧]. وروى ابن جرير عن ابن أبي مليكة قال: رأيت مجاهدًا سأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه ألواحه، قال: فيقول له ابن عباس: اكتب حتى سأله عن التفسير كله[٨]. ولهذا كان سفيان الثوري يقول: إذا جاءك

---

(١) أحمد: ٤/ ١٣١ (٢) الطبري: ١/ ٨٠ (٣) فتح الباري: ١/ ٢٠٥ (٤) الطبري: ١/ ٩٠ (٥) الطبري: ١/ ٨١ (٦) فتح الباري: ٦/ ٥٧٢ (٧) الطبري: ١/ ٩٠ (٨) الطبري: ١/ ٩٠

التفسير عن مجاهد فحسبك به[١].

وكسعيد بن جبير وعكرمة مولى ابن عباس وعطاء بن أبي رباح والحسن البصري ومسروق بن الأجدع وسعيد ابن المسيب وأبي العالية والربيع بن أنس وقتادة والضحاك ابن مزاحم وغيرهم من التابعين وتابعيهم ومن بعدهم، فتذكر أقوالهم في الآية، فيقع في عبارتهم تباين في الألفاظ يحسبها من لا علم عنده اختلافًا، فيحكيها أقوالا، وليس كذلك فإن منهم من يعبر عن الشيء بلازمه أو بنظيره، ومنهم من ينص على الشيء بعينه، والكل بمعنى واحد في أكثر الأماكن، فليتفطن اللبيب لذلك، والله الهادي.

[التفسير بالرأي]

فأما تفسير القرآن بمجرد الرأي فحرام لما رواه محمد ابن جرير رحمه الله تعالى عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ أَوْ بِمَا لَا يَعْلَمُ، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» وهكذا أخرجه الترمذي والنسائي وأبو داود. وقال الترمذي: هذا حديث حسن.[٢]

[السكوت عن تفسير غير المعلوم]

ولهذا تحرج جماعة من السلف عن تفسير ما لا علم لهم به، كما روى ابن جرير عن أبي معمر قال: قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: أيُّ أرض تقلني، وأي سماء تظلني، إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم[٣]. وروى أيضًا عن أنس أن عمر بن الخطاب قرأ على المنبر ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١﴾ فقال هذه الفاكهة قد عرفناها فما الأبّ؟ ثم رجع إلى نفسه فقال: إن هذا لهو التكلف يا عمر[٤]. وهذا كله محمول على أنهما رضي الله عنهما إنما أرادا استكشاف علم كيفية الأب، وإلا فكونه نبتًا من الأرض ظاهر لا يجهل، كقوله تعالى: ﴿فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝٢٧ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۝٢٨﴾ الآية

وروى ابن جرير عن ابن أبي مليكة؛ أنّ ابن عباس سئل عن آية - لو سئل عنها بعضكم لقال فيها - فأبى أن يقول فيها، إسناده صحيح[٥]، وروى أيضًا عن ابن أبي مليكة قال: سأل رجل ابن عباس عن ﴿يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ فقال له ابن عباس: فما ﴿يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾؟ فقال له الرجل إنما سألتك لتحدثني فقال ابن عباس: هما يومان ذكرهما الله في كتابه الله أعلم بهما، فكره أن يقول في كتاب الله ما لا يعلم[٦].

وقال الليث عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب أنه كان لا يتكلم إلا في المعلوم من القرآن[٧]. وقال أيوب وابن عون وهشام الدستوائي عن محمد بن سيرين: سألت عبيدة يعني السلماني عن آية من القرآن فقال: ذهب الذين كانوا يعلمون فيم أنزل القرآن فاتق الله وعليك بالسداد[٨]. وروى الشعبي عن مسروق قال: اتقوا التفسير فإنما هو الرواية عن الله[٩].

فهذه الآثار الصحيحة وما شاكلها عن الصحابة وأئمة السلف محمولة على تحرجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم فيه. فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعًا فلا حرج عليه، ولهذا روي عن هؤلاء وغيرهم أقوال في التفسير، ولا منافاة، لأنهم تكلموا فيما علموه وسكتوا عما جهلوه، وهذا هو الواجب على كل أحد، فإنه كما يجب السكوت عما لا علم له به فكذلك يجب القول فيما سئل عنه مما يعلمه، لقوله تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ ولما جاء في الحديث الذي روي من طرق: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ، أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ»[١٠].

[وجوه التفسير]

قال ابن جرير: حدثنا محمد بن بشار: حدثنا مؤمل: حدثنا سفيان عن أبي الزناد قال: قال ابن عباس: التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه أحد إلا الله[١١].

[السور المكية والمدنية]

روى همام عن قتادة قال: نزل في المدينة من القرآن البقرة وآل عمران والنساء والمائدة وبراءة والرعد والنحل والحج والنور والأحزاب ومحمد والفتح والحجرات والرحمن والحديد والمجادلة والحشر والممتحنة والصف

---

(١) الطبري: ١/ ٩١ (٢) الطبري: ١/ ٧٧ وتحفة الأحوذي: ٨/ ٢٧٧ والنسائي في فضائل القرآن: ١١٤ وأبو داود في العلم من رواية أبي الحسن بن العبد - قاله المزي في الأطراف: ٤/ ٤٢٣
(٣) الطبري: ١/ ٧٨ (٤) الطبري: ٢٤/ ٢٢٩ (٥) الطبري: ١/ ٨٦ (٦) الطبري: ٢٣/ ٦٠٢ (٧) الطبري: ١/ ٨٦ (٨) الطبري: ١/ ٨٦ (٩) الطبري: ١/ ٨٦ (١٠) أحمد: ٢/ ٢٦٣ و٣٠٥ و٤٩٥ وتحفة الأحوذي: ٧/ ٤٠٧ والحاكم: ١/ ١٠١
(١١) الطبري: ١/ ٧٥

والجمعة والمنافقون والتغابن والطلاق و ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾ إلى رأس العشر، و﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ و ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ هؤلاء السور نزلت بالمدينة وسائر السور بمكة[1].

[عدد آيات القرآن الكريم]

فأما عدد آيات القرآن العظيم فستة آلاف آية، ثم اختلف فيما زاد على ذلك على أقوال: فمنهم من لم يزد على ذلك، ومنهم من قال ومائتي آية وأربع آيات، وقيل: وأربع عشرة آية. وقيل: ومائتان وتسع عشرة آية، وقيل: ومائتان وخمس وعشرون آية، أو ست وعشرون آية، وقيل: ومائتان وست وثلاثون، حكى ذلك أبو عمرو الداني في كتابه البيان.

[عدد كلماته وحروفه]

وأما كلماته فقال الفضل بن شاذان عن عطاء بن يسار: سبع وسبعون ألف كلمة وأربعمائة وتسع وثلاثون كلمة.

وأما حروفه فقال عبدالله بن كثير عن مجاهد هذا ما أحصيناه من القرآن، وهو ثلاثمائة ألف حرف، وأحد وعشرون ألف حرف، ومائة وثمانون حرفًا، وقال الفضل عن عطاء بن يسار: ثلاثمائة ألف حرف وثلاثة وعشرون ألفًا وخمسة عشر حرفًا. وقال سلام أبو محمد الحماني: أن الحجاج جمع القراء والحفاظ والكتاب فقال: أخبروني عن القرآن كله كم من حرف هو؟ قال: فحسبنا فأجمعوا أنه ثلاثمائة ألف وأربعون ألفًا وسبعمائة وأربعون حرفًا.

[تقسيمات أخرى للقرآن الكريم]

قال: فأخبروني عن نصفه فإذا هو إلى الفاء من قوله في الكهف ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ وثلثه الأول عند رأس مائة آية من براءة، والثاني على رأس مائة أو إحدى ومائة من الشعراء، والثالث إلى آخره، وسبعه الأول إلى الدال من قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ﴾ والسبع الثاني إلى التاء من قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ﴾ والثالث إلى الألف الثانية من قوله تعالى في الرعد: ﴿أُكُلُهَا﴾ والرابع إلى الألف في الحج من قوله: ﴿جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ والخامس إلى الهاء من قوله في الأحزاب: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾ والسادس إلى الواو من قوله تعالى في الفتح: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ والسابع إلى آخر القرآن. قال سلام أبو محمد: علمنا ذلك في أربعة أشهر، قالوا: وكان الحجاج يقرأ في كل ليلة ربع القرآن، فالأول إلى آخر الأنعام، والثاني إلى ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ من سورة الكهف، والثالث إلى آخر الزمر، والرابع إلى آخر القرآن، وقد حكى الشيخ أبو عمرو الداني في كتابه (البيان) خلافًا في هذا كله فالله أعلم.

[التحزيب والتجزئة]

وأما التحزيب والتجزئة فقد اشتهرت الأجزاء من ثلاثين، كما في الربعات بالمدارس وغيرها، وقد ذكرنا - فيما تقدم - الحديث الوارد في تحزيب الصحابة للقرآن، والحديث في مسند الإمام أحمد وسنن أبي داود وابن ماجه وغيرهم عن أوس بن حذيفة أنه سأل أصحاب رسول الله ﷺ في حياته كيف تحزبون القرآن؟ قالوا ثلث، وخمس، وسبع، وتسع، وأحد عشرة، وثلاث عشرة، وحزب المفصل حتى تختم[2].

[معنى السورة واشتقاقها]

(فصل) واختلف في معنى السورة مما هي مشتقة، فقيل: من الإبانة والارتفاع قال النابغة:

ألم تر أن الله أعطاك سورة
ترى كل ملك دونها يتذبذب

فكأن القارىء ينتقل بها من منزلة إلى منزلة. وقيل: لشرفها وارتفاعها كسور البلدان، وقيل: سميت سورة لكونها قطعة من القرآن وجزءًا منه، مأخوذ من أسآر الإناء وهو البقية. وعلى هذا فيكون أصلها مهموزًا. وإنما خففت الهمزة فأبدلت الهمزة واوًا لانضمام ما قبلها، وقيل: لتمامها وكمالها، لأن العرب يسمون الناقة التامة سورة **(قلت)** ويحتمل أن يكون من الجمع والإحاطة لآياتها، كما يسمى سور البلد لإحاطته بمنازله ودوره. وجمع السورة سوَر بفتح الواو، وقد يجمع على سُورات وسوَرات.

[معنى الآية]

وأما الآية فمن العلامة على انقطاع الكلام الذي قبلها عن الذي بعدها وانفصالها، أي: هي بائنة عن أختها ومنفردة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ﴾ وقيل سميت آية لأنها عَجَب يعجز البشر عن التكلم بمثلها، قال

(١) الإتقان: ١/ ٢٨ (٢) أحمد: ٤/ ٩ وأبو داود: ٢/ ١١٤ وابن ماجه: ١/ ٤٢٧

سيبويه: وأصلها أيَيَة مثل أكَمة وشجرة، تحركت الياء وانفتح ما قبلها فقلبت ألفًا، فصارت آية بهمزة بعدها مدة. وقال الكسائي: أصلها آيِيَة على وزن آمنة، فقلبت ألفًا ثم حذفت لالتباسها. وقال الفراء: أصلها أيَّة، بتشديد الياء، فقلبت الأولى ألفًا كراهية التشديد، فصارت آية، وجمعها آي وآيات وآياي.

[معنى الكلمة]

وأما الكلمة فهي اللفظة الواحدة، وقد تكون على حرفين مثل «ما» و «لا» ونحو ذلك. وقد تكون أكثر، وأكثر ما تكون عشرة أحرف مثل ﴿لِيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾ و﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾ ﴿فَأَسْقَيْتُكُمُوهُ﴾. وقد تكون الكلمة الواحدة آية مثل ﴿وَالْفَجْرِ ۝١﴾ ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١﴾ ﴿وَالْعَصْرِ ۝١﴾ وكذلك ﴿الٓمٓ ۝١﴾ و﴿طه ۝١﴾ و﴿يٰسٓ ۝١﴾ و﴿حمٓ ۝١﴾ في قول الكوفيين، و﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢﴾ عندهم كلمتان، وغيرهم لا يسمي هذه آيات، بل يقول: هذه فواتح السور. وقال أبو عمرو الداني: لا أعلم كلمة هي وحدها آية إلا قوله تعالى: ﴿مُدْهَآمَّتَانِ ۝٦٤﴾ بسورة الرحمن.

[العجمة والقرآن]

(فصل) قال القرطبي: أجمعوا على أنه ليس في القرآن شيء من التراكيب الأعجمية، وأجمعوا أن فيه أعلامًا من الأعجمية كإبراهيم ونوح ولوط، واختلفوا هل فيه شيء من غير ذلك بالأعجمية، فأنكر ذلك الباقلاني والطبري وقالا: ما وقع فيه مما يوافق الأعجمية فهو من باب ما توافقت فيه اللغات.

سورة الفاتحة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[أسماء الفاتحة ومعناها]

يقال لها: الفاتحة، أي فاتحة الكتاب خطًا، وبها تفتتح القراءة في الصلوات، ويقال لها أيضًا أم الكتاب عند الجمهور، وقد ثبت في الصحيح عند الترمذي وصححه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أُمُّ الْقُرْآنِ، وَأُمُّ الْكِتَابِ، وَالسَّبْعُ الْمَثَانِي، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ» ويقال لها: (الحمد) ويقال لها: (الصلاة) لقوله ﷺ عن ربه: «قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ

١

سُورَةُ الفَاتِحَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾
الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾
إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ اهْدِنَا
الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ
عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ
وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾

عَبْدِي نِصْفَيْنِ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ قَالَ اللهُ: حَمِدَنِي عَبْدِي»[1] الحديث. فسميت الفاتحة صلاة لأنها شرط فيها، ويقال لها: (الرقية) لحديث أبي سعيد في الصحيح حين رقى بها الرجل السليم فقال له رسول الله ﷺ «وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ»[2] ؟

وهي مكية قاله ابن عباس وقتادة وأبو العالية، لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي﴾ والله تعالى أعلم.

[عدد آياتها]

وهي سبع آيات بلا خلاف. والبسملة آية مستقلة من أولها، كما هو عند جمهور قراء الكوفة، وقول جماعة من الصحابة والتابعين وخلق من الخلف.

[عدد كلماتها وحروفها]

قالوا وكلماتها خمس وعشرون كلمة، وحروفها مائة وثلاثة عشر حرفًا.

(١) تحفة الأحوذي: ٨/ ٢٨٣ (٢) فتح الباري: ٤/ ٥٢٩

[لماذا سميت أم الكتاب]

قال البخاري في أول كتاب التفسير: وسميت أم الكتاب لأنه يبدأ بكتابتها في المصاحف، ويبدأ بقراءتها في الصلاة[١]، وقيل: إنما سميت بذلك لرجوع معاني القرآن كله إلى ما تضمنته. قال ابن جرير: والعرب تسمي كل جامع أمر أو مقدم لأمر إذا كانت له توابع تتبعه هو لها إمام جامع: أمًّا، فتقول للجلدة التي تجمع الدماغ: أم الرأس، ويسمون لواء الجيش ورايتهم التي يجتمعون تحتها: أمًّا. قال: وسميت مكة أم القرى لتقدمها أمام جميعها وجمعها ما سواها، وقيل: لأن الأرض دحيت منها[٢].

روى الإمام أحمد عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال في أم القرآن: «هِيَ أُمُّ الْقُرْآنِ، وَهِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي، وَهِيَ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ»[٣]. وروى أبو جعفر محمد بن جرير الطبري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «هِيَ أُمُّ الْقُرْآنِ، وَهِيَ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَهِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي»[٤].

ذكر ما ورد في فضل الفاتحة

روى الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى في مسنده عن أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه قال: كنت أصلي فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجبه حتى صليت، قال: فأتيته فقال: «مَامَنَعَكَ أَنْ تَأْتِيَنِي»؟ قال قلت: يا رسول الله إني كنت أصلي، قال: «أَلَمْ يَقُلِ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾» ثُمَّ قَالَ: «لَأُعَلِّمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ» قال: فأخذ بيدي فلما أراد أن يخرج من المسجد قلت: يا رسول الله إنك قلت لأعلمنك أعظم سورة في القرآن، قال: «نَعَمْ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ»[٥]. وهكذا رواه البخاري[٦] وأبو داود والنسائي وابن ماجه[٧].

(حديث آخر) روى البخاري في فضائل القرآن عن أبي سعيد الخدري، قال: كنا في مسير لنا، فنزلنا فجاءت جارية فقالت: إن سيد الحي سليم، وإن نفرنا غُيّب، فهل منكم راق؟ فقام معها رجل ما كنا نأبنه برقية، فرقاه فبرأ، فأمر له بثلاثين شاة وسقانا لبنًا. فلما رجع قلنا له: أكنت تحسن رقية أو كنت ترقي؟ فقال: لا ما رقيت إلا بأم الكتاب، قلنا: لا تحدثوا شيئًا حتى نأتي ونسأل رسول الله ﷺ، فلما قدمنا المدينة ذكرناه للنبي ﷺ فقال: «وَمَا كَانَ يُدْرِيهِ أَنَّهَا رُقْيَةٌ، اقْسِمُوا، وَاضْرِبُوا لِي بِسَهْمٍ»[٨].

(حديث آخر): روى مسلم في صحيحه والنسائي في سننه عن ابن عباس قال: بينا رسول الله ﷺ وعنده جبرائيل، إذ سمع نقيضًا فوقه، فرفع جبريل بصره إلى السماء فقال: هذا باب قد فتح من السماء ما فتح قط، قال: فنزل منه ملك، فأتى النبي ﷺ فقال: أبشر بنورين قد أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك، فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لم تقرأ حرفًا منهما إلا أوتيته، وهذا لفظ النسائي ولمسلم نحوه[٩].

[الفاتحة في الصلاة]

(حديث آخر) روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا أُمَّ الْقُرْآنِ فَهِيَ خِدَاجٌ - ثَلَاثًا - غَيْرُ تَمَامٍ» فقيل لأبي هريرة: إنا نكون خلف الإمام، فقال: اقرأ بها في نفسك، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ قَالَ اللهُ: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ قَالَ اللهُ: أَثْنَىٰ عَلَيَّ عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ قَالَ اللهُ: مَجَّدَنِي عَبْدِي، وَقَالَ مَرَّةً: فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ قَالَ اللهُ: هَذَا لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ». وهكذا رواه النسائي، وفي لفظ عند مسلم والنسائي: «فَنِصْفُهَا لِي وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ»[١٠].

---

(١) فتح الباري: ٦/٨ (٢) الطبري: ١٠٧/١ (٣) أحمد: ٢/ ٤٤٨ (٤) الطبري: ١٠٧/١ (٥) أحمد: ٢١١/٤ (٦) فتح الباري: ٦/٨، ٦٧١ (٧) أبو داود: ١٥٠/٢ والنسائي: ١٣٩/٢ وابن ماجه: ١٢٤٤/٢ (٨) فتح الباري: ٦٧١/٨ (٩) مسلم: ٥٥٤/١ والنسائي في الكبرى: ١٢/٥ (١٠) مسلم: ٢٩٦/١ والنسائي في الكبرى: ١٢،١١/٥

الكلام على ما يتعلق بهذا الحديث مما يختص بالفاتحة من وجوه

وهو أنه قد أطلق فيه لفظ الصلاة، والمراد القراءة، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ أي بقراءتك، كما جاء مصرحًا به في الصحيح عن ابن عباس[١]، وهكذا قال في هذا الحديث: «قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، فَنِصْفُهَا لِي وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ» ثم بين تفصيل هذه القسمة في قراءة الفاتحة، فدل على عظمة القراءة في الصلاة، وأنها من أكبر أركانها، إذ أطلقت العبادة وأريد بها جزء واحد منها. وهو القراءة، كما أطلق لفظ القراءة والمراد به الصلاة في قوله: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ والمراد صلاة الفجر، كما جاء مصرحًا به في الصحيحين: «أَنَّهُ يَشْهَدُهَا مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ»[٢].

[وجوب قراءة الفاتحة في الصلوات كلها إمامًا كان أو مأمومًا أو منفردًا]

فدل هذا كله على أنه لا بد من القراءة في الصلاة، وهو اتفاق من العلماء. وقد دل عليه الحديث المذكور حيث قال صلوات الله وسلامه عليه: «مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأُمِّ الْقُرْآنِ فَهِيَ خِدَاجٌ»[٣]. والخداج هو الناقص، كما فسر به في الحديث «غَيْرُ تَمَامٍ». وأيضًا قد ثبت في الصحيحين عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ»[٤]. وفي صحيحي ابن خزيمة وابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول لله ﷺ: «لَا تُجْزِئُ صَلَاةٌ لَا يُقْرَأُ فِيهَا بِأُمِّ الْقُرْآنِ»[٥]. والأحاديث في هذا الباب كثيرة. [فعلى المصلي أن يقرأ فاتحة الكتاب إماما كان أو مأمومًا أو منفردًا في جميع الصلوات وفي كل ركعة ولابد].

تفسير الاستعاذة وأحكامها

قال الله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾ وقال تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ وقال تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾.

فهذه ثلاث آيات ليس لهن رابعة في معناها، وهو أن الله تعالى يأمر بمصانعة العدو الإنسي والإحسان إليه، ليرده عنه طبعه الطيب الأصل إلى الموالاة والمصافاة، ويأمر بالاستعاذة به من العدو الشيطاني لا محالة، إذ لا يقبل مصانعة ولا إحسانًا، ولا يبتغي غير هلاك ابن آدم، لشدة العداوة بينه وبين أبيه آدم من قبل كما قال تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ﴾ وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ وقال: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾ وقد أقسم للوالد آدم عليه السلام أنه له لمن الناصحين، وكذب، فكيف معاملته لنا وقد قال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾.

[الاستعاذة تكون قبل التلاوة]

ومعنى قوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ أي إذا أردت القراءة كقوله تعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ﴾ الآية: أي إذا أردتم القيام، والدليل على ذلك الأحاديث عن رسول الله ﷺ بذلك. روى الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله عن أبي سعيد الخدري قال: كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل فاستفتح صلاته وكبر قال: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ وَتَعَالَى جَدُّكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ. ثُمَّ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ثَلَاثًا - ثُمَّ يَقُولُ: - أَعُوذُ بِاللهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ». ورواه أهل السنن الأربعة وقال الترمذي: هو

---

(١) فتح الباري: ٨/ ٢٥٧ (٢) فتح الباري: ٨/ ٢٥١ ومسلم: ١/ ٤٣٩ (٣) أحمد: ٢/ ٢٥٠ (٤) فتح الباري: ٢/ ٢٧٦ ومسلم: ١/ ٢٩٥ (٥) ابن خزيمة: ١/ ٢٤٨ وابن حبان: ٣/ ١٣٩

أشهر شيء في هذا الباب[١].

وقد فسر الهمز بالموتة، وهي الخنق، والنفخ بالكبر، والنفث بالشعر، كما رواه أبو داود وابن ماجه عن جبير ابن مطعم عن أبيه قال: رأيت رسول الله ﷺ حين دخل في الصلاة قال: «اللهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا - ثَلَاثًا - الْحَمْدُ للهِ كَثِيرًا - ثَلَاثًا - سُبْحَانَ اللهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا - ثَلَاثًا - اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ» قال عمرو: همزه: الموتة ونفخه: الكبر ونفثه: الشعر[٢]، وقال ابن ماجه: حدثنا علي بن المنذر: حدثنا ابن فضيل حدثنا عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ وَهَمْزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ» قال: همزه الموتة، ونفخه الكبر، ونفثه الشعر.[٣]

[التعوذ عند الغضب]

وروى الحافظ أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي في مسنده، عن أُبي بن كعب رضي الله عنه قال: تلاحى رجلان عند النبي ﷺ، فتمزع أنف أحدهما غضبًا، فقال رسول الله ﷺ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ شَيْئًا لَوْ قَالَهُ لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» وكذا رواه النسائي في «اليوم والليلة»[٤].

وروى البخاري عن سليمان بن صرد رضي الله عنه قال: استب رجلان عند النبي ﷺ ونحن عنده جلوس، فأحدهما يسب صاحبه مغضبًا قد احمر وجهه، فقال النبي ﷺ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» فقالوا للرجل: ألا تسمع ما يقول رسول الله ﷺ؟ قال: إني لست بمجنون، وقد رواه أيضًا مع مسلم وأبي داود والنسائي[٥].

وقد جاء في الاستعاذة أحاديث كثيرة يطول ذكرها ههنا، وموطنها كتاب الأذكار وفضائل الأعمال، والله أعلم.

[الاستعاذة واجبة أو مستحبة؟]

(مسألة) وجمهور العلماء على أن الاستعاذة مستحبة، ليست بمتحتمة يأثم تاركها، وحكى الرازي عن عطاء بن أبي رباح وجوبها في الصلاة وخارجها كلما أراد القراءة، واحتج الرازي لعطاء بظاهر الآية ﴿فَٱسْتَعِذْ﴾ وهو أمر ظاهره الوجوب، وبمواظبة النبي ﷺ عليها، ولأنها تدرأ شر الشيطان، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، ولأن الاستعاذة أحوط، فاذا قال المستعيذ: "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم" كفى ذلك.

[من لطائف الاستعاذة]

ومن لطائف الاستعاذة أنها طهارة للفم مما كان يتعاطاه من اللغو والرفث، وتطييب له، وهو لتلاوة كلام الله، وهي استعانة بالله، واعتراف له بالقدرة، وللعبد بالضعف والعجز عن مقاومة هذا العدو المبين الباطني، الذي لا يقدر على منعه ودفعه إلا الله الذي خلقه، ولا يقبل مصانعة ولا يداري بالإحسان، بخلاف العدو من نوع الإنسان، كما دلت على ذلك آيات من القرآن في ثلاث من المثاني. وقال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾ وقد نزلت الملائكة لمقاتلة العدو البشري، فمن قتله العدو الظاهر البشري كان شهيدًا، ومن قتله العدو الباطني كان طريدًا، ومن غلبه العدو الظاهري كان مأجورًا، ومن قهره العدو الباطني كان مفتونًا أو موزورًا، ولما كان الشيطان يرى الإنسان من حيث لا يراه استعاذ منه بالذي يراه ولا يراه الشيطان.

(فصل) والاستعاذة هي الالتجاء إلى الله تعالى والالتصاق بجنابه من شر كل ذي شر، والعياذة تكون لدفع الشر، واللياذ يكون لطلب جلب الخير.

[معنى الاستعاذة]

ومعنى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، أي أستجير بجناب الله من الشيطان الرجيم أن يضرني في ديني أو دنياي أو يصدني عن فعل ما أمرت به، أو يحثني على فعل ما نهيت عنه، فإن الشيطان لا يكفه عن الإنسان إلا الله، ولهذا أمر تعالى بمصانعة شيطان الإنس ومداراته بإسداء الجميل إليه ليرده طبعه عما هو فيه من الأذى، وأمر بالاستعاذة به من شيطان الجن، لأنه لا يقبل رشوة، ولا

(١) أحمد: ٣/ ٦٩ وأبو داود: ١/ ٤٩٠ وتحفة الأحوذي: ٢/ ٤٧ والنسائي: ٢/ ١٣٢ وابن ماجه: ١/ ٢٦٤ (٢) أبو داود: ١/ ٤٨٦ وابن ماجه: ١/ ٢٦٥ (٣) ابن ماجه: ١/ ٢٦٦ (٤) النسائي في الكبرى: رقم ١٠٢٣٣ (٥) فتح الباري: ٦/ ٣٨٨ ومسلم: ٤/ ٢٠١٥ وأبو داود: ٥/ ١٤٠ والنسائي في الكبرى: ٦/ ١٠٤

يؤثر فيه جميل، لأنه شرير بالطبع، ولا يكفه عنك إلا الذي خلقه. وهذا المعنى في ثلاث آيات من القرآن لا أعلم لهن رابعة، قوله في الأعراف: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ فهذا فيما يتعلق بمعاملة الأعداء من البشر، ثم قال: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾ وقال تعالى في سورة ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ وقال تعالى في سورة حم السجدة: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾.

[تسمية الشيطان]

الشيطان في لغة العرب مشتق من شطن إذا بعد، فهو بعيد بطبعه عن طباع البشر، وبعيد بفسقه عن كل خير، وقيل: مشتق من شاط، لأنه مخلوق من نار، ومنهم من يقول: كلاهما صحيح في المعنى ولكن الأول أصح. وقال سيبويه: العرب تقول: تشيطن فلان إذا فعل فعل الشياطين، ولو كان من شاط لقالوا: تشيط، فالشيطان مشتق من البعد على الصحيح، ولهذا يسمون كل من تمرد من جني وإنسي وحيوان شيطانًا. قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ وفي مسند الإمام أحمد عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَا أَبَا ذَرٍّ تَعَوَّذْ بِاللهِ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ» فقلت: أوَ للإنس شياطين؟ قال: «نَعَمْ»(١). وفي صحيح مسلم عن أبي ذر أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ: «يَقْطَعُ الصَّلَاةَ الْمَرْأَةُ وَالْحِمَارُ وَالْكَلْبُ الْأَسْوَدُ». فقلت: يارسول الله ما بال الكلب الأسود من الأحمر والأصفر؟ فقال: «الْكَلْبُ الْأَسْوَدُ شَيْطَانٌ»(٢). وروى ابن جرير أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ركب برذونًا فجعل يتبختر به فجعل يضربه، فلا يزداد إلا تبخترًا فنزل عنه وقال: ما حملتموني إلا على شيطان، ما نزلت عنه حتى أنكرت نفسي، إسناده صحيح(٣).

[معنى الرجيم]

والرجيم فعيل بمعنى مفعول أي: إنه مرجوم مطرود عن الخير كله، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ وقال تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾ إلى غير ذلك من الآيات. وقيل: رجيم بمعنى راجم لأنه يرجم الناس بالوسواس والرباثث. والأول أشهر وأصح.

[البسملة أول آية من سورة الفاتحة]

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾﴾ افتتح بها الصحابة كتاب الله، واتفق العلماء على أنها بعض آية من سورة النمل ثم اختلفوا هل هي آية مستقلة في أول كل سورة، أو من أول كل سورة كتبت في أولها، أو أنها بعض آية من كل سورة.

وممن حكى عنه أنها آية من كل سورة إلا براءة ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وأبو هريرة وعلي، ومن التابعين عطاء وطاوس وسعيد بن جبير ومكحول والزهري، وبه يقول عبدالله بن المبارك والشافعي وأحمد ابن حنبل في رواية عنه، وإسحاق بن راهويه وأبو عبيد القاسم بن سلام رحمهم الله، وقال مالك وأبو حنيفة وأصحابهما: ليست آية من الفاتحة ولا من غيرها من السور، وقال داود: هي آية مستقلة في أول كل سورة لا منها، وهذه رواية عن الإمام أحمد بن حنبل.

[الجهر والإسرار بالبسملة في الصلاة الجهرية]

فأما الجهر بها في الصلاة فمن رأى أنها ليست من الفاتحة فلا يجهر بها، وكذا من قال: إنها آية من أولها، وأما من قال بأنها من أوائل السور، فاختلفوا فذهب الشافعي رحمه الله إلى أنه يجهر بها مع الفاتحة والسورة، وهو مذهب طوائف من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين سلفًا وخلفًا، فجهر بها من الصحابة أبو هريرة

(١) أحمد: ٥/ ١٧٨ (٢) مسلم: ١/ ٣٦٥ (٣) الطبري: ١/ ١١١

وابن عمر وابن عباس ومعاوية، وحكاه ابن عبدالبر والبيهقي عن عمر وعلي، ونقله الخطيب عن الخلفاء الأربعة، وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، وهو غريب، ومن التابعين عن سعيد بن جبير وعكرمة وأبي قلابة والزهري وعلي بن الحسن وابنه محمد وسعيد بن المسيب، وعطاء وطاوس ومجاهد وسالم ومحمد بن كعب القرظي وأبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، وأبي وائل وابن سيرين ومحمد بن المنكدر وعلي بن عبدالله بن عباس، وابنه محمد ونافع مولى ابن عمر وزيد بن أسلم وعمر بن عبدالعزيز والأزرق بن قيس وحبيب بن أبي ثابت وأبي الشعثاء ومكحول وعبدالله بن معقل بن مقرن، زاد البيهقي: وعبدالله بن صفوان ومحمد ابن الحنفية، زاد ابن عبدالبر: وعمرو بن دينار.

والحجة في ذلك أنها بعض الفاتحة، فيجهر بها كسائر أبعاضها، وأيضًا فقد روى النسائي في سننه وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما والحاكم في مستدركه عن أبي هريرة أنه صلى فجهر في قراءته بالبسلمة، وقال بعد أن فرغ: إني لأشبهكم صلاة برسول الله ﷺ. وصححه الدارقطني والخطيب والبيهقي وغيرهم[١]، وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك أنه سئل عن قراءة النبي ﷺ فقال: كانت قراءته مدًّا، ثم قرأ ببسم الله الرحمن الرحيم يمد بسم الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم[٢]. وفي مسند الإمام أحمد وسنن أبي داود وصحيح ابن خزيمة ومستدرك الحاكم عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يقطع قراءته: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٣ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝٤﴾ وقال الدارقطني إسناده صحيح[٣]. وروى الإمام أبو عبدالله الشافعي والحاكم في مستدركه عن أنس؛ أن معاوية صلى بالمدينة فترك البسملة فأنكر عليه من حضره من المهاجرين ذلك، فلما صلى المرة الثانية بسمل[٤].

وفي هذه الأحاديث والآثار التي أوردناها كفاية ومقنع في الاحتجاج لهذا القول عما عداها. فأما المعارضات والروايات الغريبة وتطريقها وتعليلها وتضعيفها وتقريرها فله موضع آخر.

وذهب آخرون إلى أنه لا يجهر بالبسملة في الصلاة، وهذا هو الثابت عن الخلفاء الأربعة وعبدالله بن مغفل وطوائف من سلف التابعين والخلف، وهو مذهب أبي حنيفة والثوري وأحمد بن حنبل.

وعند الإمام مالك أنه لا يقرأ البسملة بالكلية لا جهرًا ولا سرًّا، واحتجوا بما في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يفتتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين[٥]. وبما في الصحيحين عن أنس بن مالك قال: صليت خلف النبي ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان فكانوا يفتتحون بالحمد لله رب العالمين، ولمسلم: ولا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم في أول قراءة ولا في آخرها[٦][٧]، ونحوه في السنن عن عبدالله ابن مغفل رضي الله عنه[٨]. فهذه مآخذ الأئمة رحمهم الله في هذه المسألة، وهي قريبة، لأنهم أجمعوا على صحة من جهر بالبسملة ومن أسر، ولله الحمد والمنة.

فصل في فضلها

وروى الإمام أحمد بن حنبل في مسنده عن رديف النبي ﷺ: قال عثر بالنبي ﷺ فقلت: تعس الشيطان، فقال النبي ﷺ: «لَا تَقُلْ: تَعِسَ الشَّيْطَانُ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ: تَعِسَ الشَّيْطَانُ، تَعَاظَمَ وَقَالَ: بِقُوَّتِي صَرَعْتُهُ، وَإِذَا قُلْتَ: بِاسْمِ اللهِ، تَصَاغَرَ حَتَّى يَصِيرَ مِثْلَ الذُّبَابِ»[٩]، وقد روى النسائي في «اليوم والليلة» وابن مردويه في تفسيره عن أسامة بن عمير قال: كنت رديف النبي ﷺ فذكره وقال: «لَا تَقُلْ هٰكَذَا، فَإِنَّهُ يَتَعَاظَمُ حَتَّى يَكُونَ كَالْبَيْتِ، وَلٰكِنْ قُلْ: بِسْمِ اللهِ، فَإِنَّهُ يَصْغَرُ حَتَّى يَكُونَ كَالذُّبَابَةِ»[١٠]. فهذا من تأثير بركة بسم الله.

---

(١) النسائي: ٢/١٣٤ وابن خزيمة: ١/٢٥١ وصحيح ابن حبان: ٣/١٤٣ والحاكم: ١/٢٣٢ والدارقطني: ١/٣٠٥ والبيهقي: ٢/٤٦ (٢) فتح الباري: ٨/٧٠٩ (٣) أحمد: ٦/ ٣٠٢ وأبو داود: ٤/٢٩٤ وابن خزيمة: ١/٢٤٨ والحاكم: ٢/ ٢٣١ والدارقطني: ١/٣٠٧ (٤) مسند الإمام الشافعي: ١/٨٠ والحاكم: ١/٢٣٣ (٥) ابن أبي حاتم: ١/١٢ (٦) فتح الباري: ٢/٢٦٥ ومسلم: ١/٢٩٩ (٧) قال الحافظ في بلوغ المرام: وفي رواية لأحمد والنسائي وابن خزيمة «لا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم» وفي أخرى لابن خزيمة: «كانوا يسرون» وعلى هذا يحمل النفي في رواية مسلم. اهـ (٨) الترمذي: ٢٤٤ (٩) أحمد: ٥/٥٩ (١٠) النسائي في الكبرى: ٦/١٤٢

[استحبابها في بداية كل عمل]

ولهذا تستحب في أول كل عمل وقول، فتستحب في أول الخطبة، لما جاء. وتستحب البسملة عند دخول الخلاء لما ورد من الحديث في ذلك[١]، وتستحب في أول الوضوء لما جاء في مسند الإمام أحمد والسنن من رواية أبي هريرة وسعيد بن زيد وأبي سعيد مرفوعًا: «لَا وُضُوءَ لِمَنْ لَمْ يَذْكُرِ اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ»[٢]. وهو حديث حسن، وهكذا تستحب عند الأكل، لما في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال لربيبه عمر بن أبي سلمة: «قُلْ: بِسْمِ اللهِ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ»[٣]. ومن العلماء من أوجبها والحالة هذه، وكذلك تستحب عند الجماع، لما في الصحيحين عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ قَالَ: بِسْمِ اللهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَإِنَّهُ إِنْ يُقَدَّرْ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ لَمْ يَضُرَّهُ الشَّيْطَانُ أَبَدًا»[٤].

[بماذا يتعلق بسم الله]

ومن ههنا ينكشف لك أن القولين عند النحاة في تقدير المتعلق بالباء في قولك بسم الله، هل هو اسم أو فعل متقاربان، وكلٌّ قد ورد به القرآن، أما من قدره باسم تقديره: بسم الله ابتدائي، فلقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ ومن قدره بالفعل أمرًا أو خبرًا نحو: أبدأ بسم الله أو ابتدأت باسم الله فلقوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾﴾ وكلاهما صحيح، فإن الفعل لا بد له من مصدر، فلك أن تقدر الفعل ومصدره، وذلك بحسب الفعل الذي سميت قبله إن كان قيامًا أو قعودًا، أو أكلًا أو شربًا، أو قراءة، أو وضوءًا أو صلاة، فالمشروع ذكر اسم الله في الشروع في ذلك كله تبركًا وتيمنًا واستعانة على الإتمام والتقبل. والله أعلم.

[معنى لفظ الجلالة «الله»]

[الله] علم على الرب تبارك وتعالى، يقال: إنه الاسم الأعظم لأنه يوصف بجميع الصفات، كما قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ فأجرى الأسماء الباقية كلها صفات له، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ وقال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ لِلهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»[٥].

[تفسير: الرحمن الرحيم]

﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ اسمان مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة، ورحمن أشد مبالغة من رحيم، وفي كلام ابن جرير ما يفهم منه حكاية الاتفاق على هذا، وقال القرطبي: والدليل على أنه مشتق ما خرّجه الترمذي وصححه عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: أَنَا الرَّحْمٰنُ، خَلَقْتُ الرَّحِمَ وَشَقَقْتُ لَهَا اسْمًا مِنِ اسْمِي، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعْتُهُ»[٦]. قال: وهذا نص في الاشتقاق، وإنكار العرب لاسم الرحمن لجهلهم بالله وبما وجب له.

قال القرطبي: ثم قيل: هما بمعنى واحد كندمان ونديم، قاله أبو عبيد، وقيل: ليس بناء فعلان كفعيل، فإن فعلان لا يقع إلا على مبالغة الفعل، نحو قولك رجل غضبان - للرجل الممتلئ غضبًا - وفعيل قد يكون بمعنى الفاعل والمفعول، قال أبو علي الفارسي: الرحمن اسم عام في جميع أنواع الرحمة يختص به الله تعالى، والرحيم إنما هو من جهة المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ وقال ابن عباس: هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر أي: أكثر رحمة[٧].

وقال ابن جرير: حدثنا السري بن يحيى التميمي: حدثنا عثمان بن زفر سمعت العزرمي يقول: الرحمن الرحيم قال: الرحمن لجميع الخلق، الرحيم قال:

---

(١) عون المعبود: ١/ ٦ (٢) أحمد: ٣/ ٤١ وأبو داود: ١/ ٧٥ وتحفة الأحوذي: ١/ ١١٥ والنسائي: ١/ ٦١ وابن ماجه: ١/ ١٤٠ (٣) مسلم: ٣/ ١٦٠٠ (٤) فتح الباري: ٩/ ١٣٦ ومسلم: ٢/ ١٠٥٨ (٥) فتح الباري: ١١/ ٢١٨ ومسلم: ٤/ ٢٠٦٢ (٦) تحفة الأحوذي: ٦/ ٣٣ (٧) القرطبي: ١/ ١٠٥

بالمؤمنين[١] قالوا: ولهذا قال: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ وقال ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ فذكر الاستواء باسمه الرحمن ليعم جميع خلقه برحمته، وقال: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ فخصهم باسمه الرحيم، قالوا: فدل على أن الرحمٰن أشد مبالغة في الرحمة لعمومها في الدارين لجميع خلقه، والرحيم خاصة بالمؤمنين، لكن جاء في الدعاء المأثور: «رَحْمٰنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَرَحِيمَهُمَا».

واسمه تعالى الرحمن خاص به، لم يسم به غيره، كما قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ وقال تعالى: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ۝٤٥﴾ ولما تجهرم مسيلمة الكذاب وتسمى برحمٰن اليمامة كساه الله جلباب الكذب وشهر به، فلا يقال إلا مسيلمة الكذاب، فصار يضرب به المثل في الكذب بين أهل الحضر من أهل المدر، وأهل الوبر من أهل البادية والأعراب.

وعلى هذا فيكون تقديم اسم الله الذي لم يسم به أحد غيره، ووصفه أولًا بالرحمن الذي منع من التسمية به لغيره، كما قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ وإنما تجهرم مسيلمة اليمامة في التسمي به، ولم يتابعه على ذلك إلا من كان معه في الضلالة وأما الرحيم فإنه تعالى وَصَف به غيرَه قال: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٢٨﴾ كما وصف غيره بذلك من أسمائه كما قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢﴾ والحاصل أن من أسمائه تعالى ما يسمى به غيره، ومنها ما لا يسمى به غيره، كاسم الله والرحمن والخالق والرازق ونحو ذلك، فلهذا بدأ باسم الله ووصفه بالرحمن، لأنه أخص وأعرف من الرحيم، لأن التسمية أولًا إنما تكون بأشرف الأسماء فلهذا ابتدأ بالأخص فالأخص.

وقد جاء في حديث أم سلمة أن رسول الله ﷺ كان يقطع قراءته حرفًا حرفًا ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ فقرأ بعضهم كذلك وهم طائفة، ومنهم من وصلها بقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾

[معنى الحمد]

قال أبو جعفر بن جرير: معنى ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ الشكر لله خالصًا دون سائر ما يعبد من دونه، ودون كل ما برأ من خلقه، بما أنعم على عباده من النعم التي لا يحصيها العدد، ولا يحيط بعددها غيره أحد، في تصحيح الآلات لطاعته، وتمكين جوارح أجسام المكلفين لأداء فرائضه، مع ما بسط لهم في دنياهم من الرزق، وغذاهم من نعيم العيش من غير استحقاق منهم ذلك عليه، ومع ما نبههم عليه ودعاهم إليه من الأسباب المؤدية إلى دوام الخلود في دار المقام في النعيم المقيم، فلربنا الحمد على ذلك كله أولًا وآخرًا[٢].

وقال ابن جرير رحمه الله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ثناء أثنى به على نفسه، وفي ضمنه أمر عباده أن يثنوا عليه، فكأنه قال: قولوا الحمد لله. قال: وقد قيل: إن قول القائل ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ثناء عليه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، وقوله: «الشكر لله» ثناء عليه بنعمه وأياديه.[٣]

[الفرق بين الحمد والشكر]

والتحقيق أن بينهما عمومًا وخصوصًا، فالحمد أعم من الشكر من حيث ما يقعان عليه؛ لأنه يكون على الصفات اللازمة والمتعدية، تقول: حمدته لفروسيته، وحمدته لكرمه، وهو أخص، لأنه لا يكون إلا بالقول، والشكر أعم من حيث ما يقعان عليه؛ لأنه يكون بالقول والفعل والنية وهو أخص، لأنه لا يكون إلا على الصفات المتعدية لا يقال: شكرته لفروسيته، وتقول: شكرته على كرمه وإحسانه إليّ. هذا حاصل ما حرره بعض المتأخرين. والله أعلم.

وقال أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري: الحمد نقيض الذم، تقول حمدت الرجل أحمده حمدًا ومحمدة، فهو حميد ومحمود، والتحميد أبلغ من الحمد، والحمد أعم من الشكر، وقال في الشكر: هو الثناء على المحسن

(١) الطبري: ١/ ١٢٧ (٢) الطبري: ١/ ١٣٥ (٣) الطبري: ١/ ١٣٧

بما أولاه من المعروف، يقال: شكرته وشكرت له، وباللام أفصح. وأما المدح فهو أعم من الحمد، لأنه يكون للحي وللميت وللجماد أيضًا، كما يمدح الطعام والمكان ونحو ذلك، ويكون قبل الإحسان وبعده، وعلى الصفات المتعدية واللازمة أيضًا، فهو أعم.

ذكر أقوال السلف في الحمد

ورواه غير أبي معمر عن حفص فقال: قال عمر لعلي - وأصحابه عنده -: لا إله إلا الله وسبحان الله والله أكبر قد عرفناها. فما الحمد لله؟ قال علي: كلمة أحبها الله تعالى لنفسه، ورضيها لنفسه، وأحب أن تقال[١]. وقال ابن عباس: الحمد لله كلمة الشكر، وإذا قال العبد: الحمد لله قال: شكرني عبدي. رواه ابن أبي حاتم.[٢]

[فضائل الحمد]

وقد روى الإمام أحمد بن حنبل عن الأسود بن سريع قال: قلت: يا رسول الله ألا أنشدك محامد حمدت بها ربي تبارك وتعالى فقال: «أَمَا إِنَّ رَبَّكَ يُحِبُّ الْحَمْدَ» ورواه النسائي[٣].

وروى أبو عيسى الحافظ الترمذي، والنسائي وابن ماجه من حديث موسى بن إبراهيم بن كثير عن طلحة بن خراش عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: «أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الْحَمْدُ لِلهِ» وقال الترمذي: حسن غريب[٤].

وروى ابن ماجه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَىٰ عَبْدٍ نِعْمَةً فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلهِ، إِلَّا كَانَ الَّذِي أَعْطَىٰ أَفْضَلَ مِمَّا أَخَذَ»[٥].

وفي سنن ابن ماجه عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ حدثهم: «أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللهِ قَالَ: يَا رَبِّ لَكَ الْحَمْدُ كَمَا يَنْبَغِي لِجَلَالِ وَجْهِكَ وَعَظِيمِ سُلْطَانِكَ. فَعَضَّلَتْ بِالْمَلَكَيْنِ فَلَمْ يَدْرِيَا كَيْفَ يَكْتُبَانِهَا، فَصَعِدَا إِلَى اللهِ فَقَالَا: يَا رَبَّنَا إِنَّ عَبْدًا قَدْ قَالَ مَقَالَةً لَا نَدْرِي كَيْفَ نَكْتُبُهَا، قَالَ اللهُ - وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا قَالَ عَبْدُهُ -: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ قَالَا: يَا رَبِّ إِنَّهُ قَالَ: لَكَ الْحَمْدُ يَا رَبِّ كَمَا يَنْبَغِي لِجَلَالِ وَجْهِكَ وَعَظِيمِ سُلْطَانِكَ. فَقَالَ اللهُ لَهُمَا: «اكْتُبَاهَا كَمَا قَالَ عَبْدِي، حَتَّىٰ يَلْقَانِي فَأَجْزِيَهُ بِهَا»[٦].

[الألف واللام في الحمد للاستغراق]

والألف واللام في الحمد لاستغراق جميع أجناس الحمد وصنوفه لله تعالى، كما جاء في الحديث «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ، وَلَكَ الْمُلْكُ كُلُّهُ، وَبِيَدِكَ الْخَيْرُ كُلُّهُ، وَإِلَيْكَ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ» الحديث[٧].

[معنى الرب]

والرب هو المالك المتصرف، ويطلق في اللغة على السيد، وعلى المتصرف للإصلاح، وكل ذلك صحيح في حق الله، ولا يستعمل الرب لغير الله بل بالإضافة تقول: رب الدار، رب كذا، وأما الرب فلا يقال إلا لله عز وجل، وقد قيل إنه الاسم الأعظم.

[معنى العالمين]

والعالمين جمع عالم وهو كل موجود سوى الله عز وجل، والعالم جمع لا واحد له من لفظه، والعوالم أصناف المخلوقات في السموات وفي البر والبحر، وكل قرن منها وجيل يسمى عالمًا أيضًا. قال الفراء وأبو عبيد: العالم عبارة عما يعقل، وهم الإنس والجن والملائكة والشياطين، ولا يقال للبهائم عالم. وعن زيد بن أسلم وأبي محيصن: العالم كل ما له روح ترفرف. وقال قتادة: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ كل صنف عالم، وقال الزجاج: العالم كل ما خلق الله في الدنيا والآخرة قال القرطبي: وهذا هو الصحيح إنه شامل لكل العالمين كقوله: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾﴾.

[وجه تسمية العالم]

والعالم مشتق من العلامة (قلت) لأنه علم دال على وجود خالقه وصانعه ووحدانيته[٨].

﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ تقدم الكلام عليه في البسملة بما أغنى عن الإعادة. قال القرطبي: إنما وصف نفسه بالرحمن الرحيم بعد قوله: رب العالمين، ليكون من باب قرن الترغيب بعد الترهيب كما قال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ

---

(١) ابن أبي حاتم: ١/ ١٥ (٢) ابن أبي حاتم: ١/ ١٣ (٣) أحمد: ٣/ ٤٣٥ والنسائي في الكبرى: ٤/ ٤١٦ (٤) تحفة الأحوذي: ٩/ ٣٢٤ والنسائي في الكبرى: ٦/ ٢٠٨ وابن ماجه: ٢/ ١٢٤٩ (٥) ابن ماجه: ٢/ ١٢٥٠ (٦) ابن ماجه: ٢/ ١٢٤٩
(٧) الترغيب والترهيب: ٢/ ٢٥٣ (٨) القرطبي: ١/ ١٣٩

ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ [١] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ قال: فالرب فيه ترهيب، والرحمن الرحيم ترغيب. وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ مَا طَمِعَ فِي جَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الرَّحْمَةِ مَا قَنِطَ مِنْ رَحْمَتِهِ أَحَدٌ» [٢].

﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾

[معنى تخصيص الملك بيوم الدين]

وتخصيص الملك بيوم الدين لا ينفيه عما عداه، لأنه قد تقدم الإخبار بأنه رب العالمين، وذلك عامّ في الدنيا والآخرة، وإنما أضيف إلى يوم الدين لأنه لا يدعي أحد هنالك شيئًا، ولا يتكلم أحد إلا بإذنه، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾ وقال تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾﴾ وقال الضحاك عن ابن عباس ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾ يقول: لا يملك أحد معه في ذلك اليوم حكمًا كملكهم في الدنيا.

[معنى يوم الدين]

قال: ويوم الدين يوم الحساب للخلائق، وهو يوم القيامة، يدينهم بأعمالهم إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر إلا من عفا عنه [٣]، وكذلك قال غيره من الصحابة والتابعين والسلف وهو ظاهر.

[الملك وملك الأملاك هو الله]

والملك في الحقيقة هو الله عز وجل، قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ﴾ وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «أَخْنَعُ اسْمٍ عِنْدَ اللهِ رَجُلٌ تَسَمَّى بِمَلِكِ الْأَمْلَاكِ، وَلَا مَالِكَ إِلَّا اللهُ» [٤] وفيهما عنه عن رسول الله ﷺ قال: «يَقْبِضُ اللهُ الْأَرْضَ وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ؟ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟» [٥]. وفي القرآن العظيم: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ فأما تسمية غيره في الدنيا بملك فعلى سبيل المجاز كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾ ﴿إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ وفي الصحيحين: «مَثَلُ الْمُلُوكِ عَلَى الْأَسِرَّةِ» [٦].

[تفسير الدين]

والدين الجزاء والحساب، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ﴾ وقال: ﴿أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ أي: مجزيون محاسبون، وفي الحديث: «الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ» [٧] أي: حاسب نفسه، كما قال عمر رضي الله عنه: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وتأهبوا للعرض الأكبر على من لا تخفى عليه أعمالكم ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾

[معنى العبادة لغة وشرعًا]

والعبادة في اللغة من الذلة، يقال: طريق معبد وبعير معبد أي: مذلل وفي الشرع عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف.

[فوائد تقديم المفعول والالتفات]

وقدم المفعول، وهو إياك، وكرر للاهتمام والحصر، أي: لا نعبد إلا إياك، ولا نتوكل إلا عليك، وهذا هو كمال الطاعة، والدين كله يرجع إلى هذين المعنيين. وهذا كما قال بعض السلف: الفاتحة سر القرآن، وسرها هذه الكلمة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ فالأول تبرؤ من الشرك، والثاني تبرؤ من الحول والقوة، وتفويض إلى الله عز وجل، وهذا المعنى في غير آية من القرآن كما قال تعالى: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾، ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾، ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾﴾ وكذلك هذه الآية الكريمة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾.

وتحول الكلام من الغيبة إلى المواجهة بكاف الخطاب، لأنه لما أثنى على الله فكأنه اقترب وحضر بين يدي الله تعالى فلهذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾.

[الفاتحة إرشاد إلى الثناء فتجب قراءتها في الصلاة]

وفي هذا دليل على أن أول السورة خبر من الله تعالى

---

(١) القرطبي: ١/ ١٣٩ (٢) مسلم: ٤/ ٢١٠٩ (٣) ابن أبي حاتم: ١/ ١٩ (٤) فتح الباري: ١/ ٦٠٤ ومسلم: ٣/ ١٦٨٨ (٥) فتح الباري: ١٣/ ٤٠٤ ومسلم: ٤/ ٢١٤٨ (٦) فتح الباري: ٦/ ٨٩ ومسلم: ٣/ ١٥١٨ (٧) ابن ماجه: ٢/ ١٤٢٣

بالثناء على نفسه الكريمة بجميل صفاته الحسنى، وإرشاد لعباده بأن يثنوا عليه بذلك. ولهذا لا تصح صلاة من لم يقل ذلك وهو قادر عليه، كما جاء في الصحيحين عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ»[1]. وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ: «يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، فَنِصْفُهَا لِي وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، إِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ قَالَ اللهُ: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ قَالَ اللهُ: أَثْنَىٰ عَلَيَّ عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ قَالَ اللهُ: مَجَّدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ قَالَ: هٰذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ قَالَ: هٰذَا لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ»[2].

[توحيد الألوهية]

قال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ يعني إياك نوحد ونخاف ونرجوك يا ربنا لا غيرك. ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ على طاعتك وعلى أمورنا كلها[3] وقال قتادة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ يأمركم أن تخلصوا له العبادة وأن تستعينوه على أموركم[4]. وإنما قدم ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ على ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ لأن العبادة له هي المقصودة، والاستعانة وسيلة إليها. والاهتمام والحزم تقديم ما هو الأهم فالأهم. والله أعلم.

[تسمية الله نبيه عبدًا في أشرف المقامات]

وقد سمى الله رسوله ﷺ بعبده في أشرف مقاماته فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾، ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ فسماه عبدًا عند إنزاله عليه، وعند قيامه في الدعوة، وإسرائه به.

[الإرشاد إلى العبادة عند ضيق الصدر]

وأرشده إلى القيام بالعبادة في أوقات يضيق صدره من تكذيب المخالفين حيث يقول: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۝٩٧ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٩٨ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ۝٩٩﴾.

﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾

[سر تأخير الدعاء بعد الحمد والوصف]

لما تقدم الثناء على المسؤول تبارك وتعالى ناسب أن يعقب بالسؤال كما قال: «فَنِصْفُهَا لِي وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ» وهذا أكمل أحوال السائل أن يمدح مسؤوله ثم يسأل حاجته وحاجة إخوانه المؤمنين بقوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ لأنه أنجح للحاجة وأنجع للإجابة، ولهذا أرشد الله إليه، لأنه الأكمل، وقد يكون السؤال بالإخبار عن حال السائل واحتياجه، كما قال موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ وقد يتقدمه مع ذلك وصف المسؤل كقول ذي النون: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وقد يكون بمجرد الثناء على المسؤل كقول الشاعر:

أأذكُرُ حاجتي أم قد كفاني
حياؤُك إن شيمتك الحياء
إذا أثنى عليك المرء يومًا
كفاه من تعرضه الثَّناء

[معنى الهداية]

الهداية ههنا الإرشاد والتوفيق، وقد تعدى الهداية بنفسها كما هنا ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ فتضمن معنى ألهمنا أو وفقنا أو ارزقنا أو أعطنا، ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ أي: بينا له الخير والشر، وقد تعدى بإلى كقوله تعالى: ﴿ٱجْتَبَٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ ﴿فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾ وذلك بمعنى الإرشاد والدلالة وكذلك قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ وقد تعدى باللام كقول أهل الجنة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ أي: وفقنا لهذا وجعلنا له أهلًا.

[معنى الصراط المستقيم]

وأما الصراط المستقيم فقال الإمام أبو جعفر بن جرير: أجمعت الأمة من أهل التأويل جميعًا على أن الصراط المستقيم هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه، وذلك في لغة جميع العرب فمن ذلك قول جرير بن عطية الخطفي:

---

(١) فتح الباري: ٢/ ٢٧٦ ومسلم: ١/ ٢٩٥ (٢) مسلم: ١/ ٢٩٧ (٣) ابن أبي حاتم: ١/ ١٩ (٤) ابن أبي حاتم: ١/ ٢٠

أمير المؤمنين على صراطٍ
إذا اعوجّ الموارد مستقيم[١]

قال: والشواهد على ذلك أكثر من أن تحصر، قال ثم تستعير العرب الصراط فتستعمله في كل قول وعمل وصف باستقامة أو اعوجاج، فتصف المستقيم باستقامته والمعوج باعوجاجه. والمراد به الإسلام.

روى الإمام أحمد في مسنده عن النواس بن سمعان عن رسول الله ﷺ قال: «ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَعَلَىٰ جَنْبَتَيِ الصِّرَاطِ سُورَانِ، فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ، وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرْخَاةٌ، وَعَلَىٰ بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ: يَاأَيُّهَا النَّاسُ ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعًا وَلَا تَعْوَجُّوا، وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ، فَإِذَا أَرَادَ الْإِنسَانُ أَنْ يَفْتَحَ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ قَالَ: وَيْحَكَ لَا تَفْتَحْهُ فَإِنَّكَ إِنْ فَتَحْتَهُ تَلِجْهُ، فَالصِّرَاطُ: الْإِسْلَامُ، وَالسُّورَانِ: حُدُودُ اللهِ، وَالْأَبْوَابُ الْمُفَتَّحَةُ: مَحَارِمُ اللهِ، وَذَلِكَ الدَّاعِي عَلَىٰ رَأْسِ الصِّرَاطِ كِتَابُ اللهِ، وَالدَّاعِي مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ وَاعِظُ اللهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ»[٢].

[سؤال المؤمن الهداية مع اتصافه بها]

فإن قيل فكيف يسأل المؤمن الهداية في كل وقت من صلاة وغيرها وهو متصف بذلك؟ فهل هذا من باب تحصيل الحاصل أم لا؟

فالجواب أن لا، ولولا احتياجه ليلًا ونهارًا إلى سؤال الهداية لما أرشده الله تعالى إلى ذلك، فإن العبد مفتقر في كل ساعة وحالة إلى الله تعالى في تثبيته على الهداية ورسوخه فيها وتبصره وازدياده منها واستمراره عليها، فإن العبد لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا إلا ما شاء الله فأرشده تعالى إلى أن يسأله في كل وقت أن يمده بالمعونة والثبات والتوفيق، فالسعيد من وفقه الله تعالى لسؤاله فإنه قد تكفل بإجابة الداعي إذا دعاه ولا سيما المضطر المحتاج المفتقر إليه آناء الليل وأطراف النهار، وقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾ الآية. فقد أمر الذين آمنوا بالإيمان، وليس ذلك من باب تحصيل الحاصل لأن المراد الثبات والاستمرار والمداومة على الأعمال المعينة على ذلك والله أعلم. وقال تعالى آمرًا لعباده المؤمنين أن يقولوا: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝٨﴾ فمعنى قوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ استمرَّ بنا عليه ولا تعدل بنا إلى غيره.

﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾

وقد تقدم الحديث فيما إذا قال العبد: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ إلى آخرها أن الله يقول: «هٰذَا لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ» وقوله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ مفسر للصراط المستقيم وهو بدل منه عند النحاة، ويجوز أن يكون عطف بيان والله أعلم. والذين أنعم الله عليهم هم المذكورون في سورة النساء حيث قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ۝٦٩ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ۝٧٠﴾

وقوله تعالى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ المعنى اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم ممن تقدم وصفهم ونعتهم وهم أهل الهداية والاستقامة والطاعة لله ورسله، وامتثال أوامره وترك نواهيه وزواجره، غير صراط المغضوب عليهم، وهم الذين فسدت إرادتهم فعلموا الحق وعدلوا عنه، ولا صراط الضالين، وهم الذين فقدوا العلم فهم هائمون في الضلالة لا يهتدون إلى الحق. وأكد الكلام بلا؛ ليدل على أن ثَمّ مسلكين فاسدين وهما طريقتا اليهود والنصارى، ليجتنب كل واحد منهما، فإن طريقة أهل الإيمان مشتملة على العلم بالحق والعمل به، واليهود فقدوا العمل، والنصارى فقدوا العلم. ولهذا كان الغضبُ لليهود والضلال للنصارى، لأن من علم وترك استحق الغضب، بخلاف من لم يعلم، والنصارى لما كانوا قاصدين شيئًا لكنهم لا يهتدون إلى طريقه، لأنهم لم يأتوا الأمر من بابه، وهو اتباع الحق، ضلوا، وكل من اليهود والنصارى ضال مغضوب عليه، لكن أخص أوصاف اليهود الغضب، كما قال تعالى عنهم: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ وأخص أوصاف النصارى الضلال، كما قال تعالى عنهم: ﴿قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ وبهذا جاءت الأحاديث والآثار وذلك واضح بيّن.

---

(١) الطبري: ١/ ١٧٠ (٢) أحمد: ٤/ ١٨٢

روى الإمام أحمد عن عدي بن حاتم، قال: جاءت خيل رسول الله ﷺ فأخذوا عمتي وناسًا، فلما أتوا بهم إلى رسول الله ﷺ صفوا له فقالت: يا رسول الله! نأى الوافِد، وانقطع الولد، وأنا عجوز كبيرة، ما بي من خدمة، فمُنّ عليّ منّ الله عليك، قال: «مَنْ وَافِدُكِ؟» قالت: عدي بن حاتم، قال: «الَّذِي فَرَّ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ»؟ قالت: فمنّ عليّ، فلما رجع ورجل إلى جنبه ترى أنه عليٌّ قال: سليه حملانًا، فسألته فأمر لها، قال: فأتتني فقالت: لقد فَعَل فعلة ما كان أبوك يفعلها، فإنه قد أتاه فلان فأصاب منه، وأتاه فلان فأصاب منه، فأتيته فإذا عنده امرأة وصبيان، وذكر قربهم من النبي ﷺ قال: فعرفت أنه ليس بملك كسرى ولا قيصر، فقال: «يَا عَدِيُّ مَا أَفَرَّكَ أَنْ يُقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟ فَهَلْ مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللهُ؟، مَا أَفَرَّكَ أَنْ يُقَالَ: اللهُ أَكْبَرُ؟ فَهَلْ شَيْءٌ أَكْبَرُ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ؟» قال: فأسلمت، فرأيت وجهه استبشر وقال: «إِنَّ الْمَغْضُوبَ عَلَيْهِمُ: الْيَهُودُ، وَإِنَّ الضَّالِّينَ: النَّصَارَى»، وذكر الحديث ورواه الترمذي وقال حسن غريب[1].

وفي السيرة عن زيد بن عمرو بن نفيل أنه لما خرج هو وجماعة من أصحابه إلى الشام يطلبون الدين الحنيف قالت له اليهود: إنك لن تستطيع الدخول معنا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله، فقال: أنا من غضب الله أفر، وقالت له النصارى: إنك لن تستطيع الدخول معنا حتى تأخذ بنصيبك من سخط الله، فقال لا أستطيعه فاستمر على فطرته، وجانب عبادة الأوثان ودين المشركين، ولم يدخل مع أحد من اليهود ولا النصارى، وأما أصحابه فتنصّروا ودخلوا في دين النصرانية، لأنهم وجدوه أقرب من دين اليهود إذ ذاك، وكان منهم ورقة بن نوفل حتى هداه الله بنبيه لِما بعثه، آمن بما وجد من الوحي. رضي الله عنه.

مشتملات الفاتحة

(فصل) اشتملت هذه السورة الكريمة، وهي سبع آيات، على حمد الله وتمجيده والثناء عليه بذكر أسمائه الحسنى المستلزمة لصفاته العليا، وعلى ذكر المعاد وهو يوم الدين، وعلى إرشاده عبيده إلى سؤاله والتضرع إليه والتبرئ من حولهم وقوتهم، وإلى إخلاص العبادة له، وتوحيده بالألوهية تبارك وتعالى، وتنزيهه أن يكون له شريك أو نظير أو مماثل، وإلى سؤالهم إياه الهداية إلى الصراط المستقيم، وهو الدين القويم، وتثبيتهم عليه حتى يُفضى بهم ذلك إلى جواز الصراط الحسي يوم القيامة، المفضي بهم إلى جنات النعيم؛ في جوار النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، واشتملت على الترغيب في الأعمال الصالحة ليكونوا مع أهلها يوم القيامة، والتحذير من مسالك الباطل لئلا يحشروا مع سالكيها يوم القيامة، وهم المغضوب عليهم والضالون.

[إسناد الإنعام إلى الله دون الإضلال. والرد على القدرية]

وما أحسن ما جاء إسناد الإنعام إليه في قوله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم﴾ وحذف الفاعل في الغضب في قوله تعالى: ﴿غَيرِ ٱلمَغضُوبِ عَلَيهِم﴾ وإن كان هو الفاعل لذلك في الحقيقة كما قال تعالى: ﴿أَلَم تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوا۟ قَومًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيهِم﴾ الآية. وكذلك إسناد الضلال إلى من قام به وإن كان هو الذي أضلهم بقدره كما قال تعالى: ﴿مَن يَهدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلمُهتَدِ وَمَن يُضلِل فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرشِدًا﴾ وقال: ﴿مَن يُضلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ وَيَذَرُهُم فِى طُغيَٰنِهِم يَعمَهُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أنه سبحانه هو المنفرد بالهداية والإضلال، لا كما تقول الفرقة القدرية ومن حذا حذوهم من أن العباد هم الذين يختارون ذلك ويفعلون، ويحتجون على بدعتهم بمتشابه من القرآن، ويتركون ما يكون فيه صريحًا في الرد عليهم. وهذا حال أهل الضلال والغي، وقد ورد في الحديث الصحيح: «إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ، فَاحْذَرُوهُمْ»[2] يعني في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم زَيغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنهُ ٱبتِغَآءَ ٱلفِتنَةِ وَٱبتِغَآءَ تَأوِيلِهِۦ﴾ فليس، بحمد الله، لمبتدع في القرآن حجة صحيحة، لأن القرآن جاء ليفصل الحق من الباطل مفرقًا بين الهدى والضلال، وليس فيه تناقض ولا اختلاف لأنه من عند الله تنزيل من حكيم حميد.

[التأمين بعد الفاتحة]

(فصل) يستحب لمن يقرأ الفاتحة أن يقول بعدها آمين مثل يس، ويقال: أمين بالقصر أيضًا ومعناه: اللهم استجب، والدليل على استحباب التأمين ما رواه الإمام

(١) أحمد: ٤/ ٣٧٨ وتحفة الأحوذي: ٨/ ٢٨٩ (٢) فتح الباري: ٨/ ٥٧

أحمد وأبو داود والترمذي عن وائل بن حجر قال: سمعت النبي ﷺ قرأ: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ فقال: آمين، مد بها صوته[١]، ولأبي داود: رفع بها صوته، وقال الترمذي هذا حديث حسن، وروي عن علي وابن مسعود وغيرهم[٢]. وعن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ إذا تلا ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ قال: «آمين» حتى يسمع من يليه من الصف الأول[٣]، رواه أبو داود وابن ماجه وزاد فيه: فيرتج بها المسجد[٤]. والدارقطني وقال: هذا إسناد حسن[٥]. وعن بلال أنه قال: يا رسول الله لا تسبقني بآمين. رواه أبو داود[٦].

ونقل أبو نصر القشيري عن الحسن وجعفر الصادق أنهما شددا الميم من آمين مثل ﴿وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ قال أصحابنا وغيرهم: ويستحب ذلك لمن هو خارج الصلاة، ويتأكد في حق المصلي، وسواء كان منفردًا أو إمامًا أو مأمومًا وفي جميع الأحوال، لما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا أَمَّنَ الْإِمَامُ فَأَمِّنُوا، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ الْمَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»[٧] ولمسلم أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ آمِينَ وَالْمَلَائِكَةُ فِي السَّمَاءِ آمِينَ، فَوَافَقَتْ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»[٨] قيل: بمعنى من وافق تأمينه تأمين الملائكة في الزمان. وقيل: في الإجابة. وقيل: في صفة الإخلاص. وفي صحيح مسلم عن أبي موسى مرفوعًا «إِذَا قَالَ - يعني الإمام - وَلَا الضَّالِّينَ فَقُولُوا: آمِينَ، يُجِبْكُمُ اللهُ»[٩] وقال الترمذي معناه: لا تخيب رجاءنا. وقال الأكثرون معناه: اللهم استجب لنا.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رب يسر وأعن يا كريم

تفسير سورة البقرة

(ذكر ما ورد في فضلها) في مسند أحمد وصحيح مسلم والترمذي والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، فَإِنَّ الْبَيْتَ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ لَا يَدْخُلُهُ الشَّيْطَانُ». وقال الترمذي: حسن صحيح[١٠].

وعن عبد الله - يعني ابن مسعود - رضي الله عنه قال: إن الشيطان يفرّ من البيت الذي يسمع فيه سورة البقرة. ورواه النسائي في اليوم والليلة[١١] وأخرجه الحاكم في مستدركه ثم قال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه[١٢]. وروى الدارمي في مسنده عن ابن مسعود قال: ما من بيت تقرأ فيه سورة البقرة إلا خرج منه الشيطان وله ضراط. وروى أيضًا من طريق الشعبي قال: قال عبد الله بن مسعود: من قرأ عشر آيات من سورة البقرة في ليلة لم يدخل ذلك البيت شيطان تلك الليلة، أربع من أولها، وآية الكرسي، وآيتان بعدها، وثلاث آيات من آخرها، وفي رواية: لم يقربه ولا أهله يومئذ شيطان، ولا شيء يكرهه، ولا يقرأن على مجنون إلا أفاق[١٣]. وعن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ سَنَامًا، وَإِنَّ سَنَامَ الْقُرْآنِ الْبَقَرَةُ، وَإِنَّ مَنْ قَرَأَهَا فِي بَيْتِهِ لَيْلَةً لَمْ يَدْخُلْهُ الشَّيْطَانُ ثَلَاثَ لَيَالٍ، وَمَنْ قَرَأَهَا فِي بَيْتِهِ نَهَارًا لَمْ يَدْخُلْهُ الشَّيْطَانُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ». رواه أبو القاسم الطبراني وأبو حاتم ابن حبان في صحيحه وابن مردويه[١٤].

وقد روى الترمذي والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ بعثًا، وهم ذوو عدد، فاستقرأهم، فاستقرأ كل واحد منهم ما معه من القرآن، فأتى على رجل من أحدثهم سنًا فقال: «مَا مَعَكَ يَا فُلَانُ؟» فقال: معي كذا وكذا وسورة البقرة. فقال: «أَمَعَكَ سُورَةُ الْبَقَرَةِ؟» قال: نعم، قال: «اذْهَبْ فَأَنْتَ أَمِيرُهُمْ» فقال رجل من أشرافهم: والله ما منعني أن أتعلم سورة البقرة إلا أني خشيت أن لا أقوم بها. فقال رسول الله ﷺ: «تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ وَاقْرَأُوهُ، فَإِنَّ مَثَلَ الْقُرْآنِ لِمَنْ

---

(١) أحمد: ٤/ ٣١٥ وأبو داود: ١/ ٥٧٤ وتحفة الأحوذي: ٢/ ٦٥ (٢) تحفة الأحوذي: ٢/ ٦٧ (٣) أبو داود: ١/ ٥٧٥ (٤) أبو داود: ١/ ٥٧٥ وابن ماجه: ١/ ٢٧٩ (٥) الدارقطني: ١/ ٣٣٥ (٦) أبو داود: ١/ ٥٧٦ (٧) فتح الباري: ١١/ ٢٠٣ ومسلم: ١/ ٣٠٧ (٨) مسلم: ١/ ٣٠٧ (٩) مسلم: ١/ ٣٠٣ (١٠) أحمد: ٢/ ٢٨٤ ومسلم: ١/ ٥٣٩ وتحفة الأحوذي: ٨/ ١٨٠ والنسائي في الكبرى: ٥/ ١٣ (١١) النسائي في الكبرى: ٦/ ٢٤٠ (١٢) الحاكم: ٢/ ٢٦٠ (١٣) الدارمي: ٢/ ٣٢٢ (١٤) الطبراني: ٦/ ١٦٣ وابن حبان: ٢/ ٧٨